International Journal for Scientific Research (IJSR)

المجلة الدولية للبحوث العلمية

Vol. (4), No. (12) December 2025 الإصدار (4)، العدد (12)

الروايات التفسيرية في مستدرك الحاكم /سورة الفاتحة جمعاً ودراسة

ورود ضياء عبدالستار التكريتي

م. م.، قسم علوم قرآن، كلية التربية للبنات، جامعة كركوك، جمهورية العراق

worooddheeaa@uokirkuk.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية للروايات التفسيرية الواردة في كتاب *المستدرك على الصحيحين* للإمام الحاكم النيسابوري، وذلك من خلال سورة الفاتحة نموذجًا. وقد تم اعتماد المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث تم جمع الروايات التفسيرية المتعلقة بسورة الفاتحة، وفحصها من حيث السند والمتن، ودراستها وفق قواعد علم الحديث والتفسير، مع مقارنتها بمصادر التفسير الأخرى كجامع البيان للطبري، وتفسير ابن كثير، ومسند الإمام أحمد.

يهدف البحث إلى تحديد القيمة العلمية للروايات التي أوردها الحاكم في تفسير سورة الفاتحة، وبيان مدى موافقتها للضوابط الحديثية والتفسيرية، مع إبراز دور الذهبي في تصحيح أو تعقب تلك الروايات. ويسعى كذلك إلى الكشف عن البنية المعرفية الكامنة خلف هذه الروايات، واستجلاء الخلفيات العقدية واللغوية التي تؤثر في فهم معاني السورة.

النتائج أظهرت أن بعض الروايات الواردة في المستدرك تقف على الحد الفاصل بين القبول والرد، ما يدعو إلى إعادة تقييمها في ضوء تطور علم الحديث، وضرورة ربطها بسياق التفسير الموضوعي والمعرفي المعاصر. وقدّم البحث توصيات بالاهتمام بالروايات التفسيرية المهملة، وتنقيحها وفق قواعد علمية دقيقة.

الكلمات المفتاحية: الروايات التفسيرية، مستدرك الحاكم، سورة الفاتحة.

Interpretive Narrations in Al-Mustadrak of Al-Hakim / Surah Al-Fatihah: A Collection and Study

Worood Dheeaa Abdul Sattar Al-Tikriti

Department of Quranic Sciences, College of Education for Women, University of Kirkuk, Iraq

worooddheeaa@uokirkuk.edu.iq

Abstract

This research presents an analytical study of the interpretive narrations found in Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn by Imam al-Hakim al-Nisaburi, using Surah al-Fatihah as a case study. The inductive-analytical method was employed, whereby the interpretive narrations related to Surah al-Fatihah were collected, examined

in terms of their chains of transmission (isnad) and texts (matn), and studied according to the principles of hadith and tafsir (exegesis). These narrations were also compared with other sources of tafsir, such as Jami' al-Bayan by al-Tabari, Tafsir Ibn Kathir, and Musnad Ahmad.

The research aims to determine the scholarly value of the narrations included by al-Hakim in his interpretation of Surah al-Fatihah, and to demonstrate their conformity with hadith and tafsir standards. It also highlights the role of al-Dhahabi in authenticating or critiquing these narrations. Furthermore, it seeks to uncover the underlying epistemological framework of these narrations and to elucidate the doctrinal and linguistic backgrounds that influence the understanding of the surah's meanings.

The results show that some of the narrations in al-Mustadrak are at the crossroads between acceptance and rejection, necessitating their re-evaluation in light of the development of hadith science and the need to connect them to the context of contemporary thematic and epistemological tafsir. The research offered recommendations to pay attention to neglected exegetical narrations and to revise them according to precise scientific principles.

Keywords: Exegetical Narrations, Al-Mustadrak of Al-Hakim, Surah Al-Fatihah.

ثانيًا: المقدمة

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى تقويم الروايات التفسيرية في مصدر مهم *كالمستدرك على الصحيحين*، وهو كتاب حظي باهتمام المحدثين والمفسرين على حد سواء. وتزداد الأهمية بالنظر إلى أن سورة الفاتحة تمثل "أم الكتاب"، ولها مركزية في العقيدة والشعائر، مما يجعل تفسيرها بالاعتماد على روايات غير دقيقة أمرًا خطيرًا.

مشكلة البحث

هل الروايات التي أوردها الحاكم في تفسير سورة الفاتحة تحقق شروط الصحة المعروفة عند المحدثين؟ وهل يمكن اعتبارها أساسًا لتفسير السورة على وجه سليم؟ وما موقف الذهبي من تلك الروايات؟

فرضيات البحث

- تحتوي روايات الحاكم التفسيرية على درجات متفاوتة من الصحة والضعف.
- لم يعتمد الحاكم منهجًا نقديًا صارمًا عند اختياره للروايات.
- التعقبات التي أوردها الذهبي تكشف عن ثغرات في التوثيق التفسيري لدى الحاكم.

تساؤلات البحث

- ما طبيعة الروايات التفسيرية التي وردت في مستدرك الحاكم حول سورة الفاتحة؟
- إلى أي مدى تنسجم هذه الروايات مع الروايات الواردة في كتب التفسير الأخرى؟
- كيف عالج الذهبي هذه الروايات؟ وهل كان نقده شاملاً أم انتقائيًا؟

هيكلية البحث

يتكون البحث من مقدمة، ومنهجية، وثلاثة فصول رئيسية:

- الفصل الأول: التعريف بمستدرك الحاكم ومنهجه في التفسير.
- الفصل الثاني: جمع وتحليل الروايات التفسيرية الخاصة بسورة الفاتحة.
- الفصل الثالث: الدراسة الحديثية والنقدية للروايات في ضوء مناهج المحدثين. ثم تأتي الخاتمة والتوصيات والمصادر.

ثالثًا: المنهجية

يعتمد هذا البحث على المناهج التالية:

- **المنهج الاستقرائي:** في تتبع الروايات التفسيرية من مستدرك الحاكم وجمعها.
- **المنهج التحليلي:** لفحص الروايات من حيث المتن والسند واللغة والمحتوى.
- **المنهج المقارن:** بين الروايات الواردة في المستدرك ومثيلاتها في مصادر التفسير المعروفة.

تم توثيق المصادر من نسخ محققة، واعتمد البحث على أدوات علمية في تحليل الروايات ككتب الرجال وميزان الاعتدال وتهذيب الكمال.

International Journal for Scientific Research (IJSR)
المجلة الدولية للبحوث العلمية
IJSR
Vol. (4), No. (12) December 2025 الإصدار (4)، العدد (12)

الفصل الأول: مستدرك الحاكم – المؤلف والمنهج والمصطلح التفسيري

المبحث الأول: الحاكم النيسابوري ومنهجه في رواية التفسير

ترجمة الإمام الحاكم:

الإمام الحاكم هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، أحد كبار أئمة الحديث في القرن الرابع الهجري، وُلد سنة 3 هـ وتوفي سنة 405 هـ. نشأ في مدينة نيسابور التي كانت آنذاك منارة للعلم والعلماء، وطلب العلم مبكرًا، فبرز في علوم الحديث حتى لُقّب بـ "حاكم خراسان". ترك خلفه مجموعة من المؤلفات الهامة في علم الحديث، أبرزها "المستدرك على الصحيحين" الذي أثار جدلًا واسعًا بين المحدثين، لما فيه من أحاديث يرى الحاكم أنها مستوفية لشروط الصحة، رغم عدم إخراجها في الصحيحين. [1]

مصادره في التلقي وأثرها في منهجه:

تلقى الإمام الحاكم عن كبار المحدثين في عصره، من أمثال الإمام الدارقطني، وابن خزيمة، وسمع عن مئات من الشيوخ، مما منحه ثراءً علميًا في الرواية. وقد تأثر الحاكم بشدة بمذهب أهل الحديث، حيث كانت منهجيته في "المستدرك" تدور حول محاولة إثبات صحة أحاديث لم يخرجها البخاري ومسلم، معتمدًا على أسانيد يعتبرها مطابقة لشرطهما. لكنه لم يلتزم دائمًا بذلك، حيث أورد بعض الأحاديث التي فيها ضعف أو نكارة، مما دعى العلماء كالإمام الذهبي إلى التعقيب عليه. [2]

"المستدرك" وموقع التفسير فيه:

لم يكن "المستدرك" كتابًا تفسيرًا بالمعنى الاصطلاحي، لكنه احتوى على عدد من الروايات التفسيرية، التي جاءت غالبًا في إطار الحديث عن فضائل السور أو أسباب النزول أو شرح بعض الألفاظ القرآنية. وبالنظر إلى مادة الكتاب، يمكن تصنيف تلك الروايات إلى تفسير بالرواية عن الصحابة والتابعين، وتفسير نبوي، وتفسير فقهي. وفيما يخص سورة الفاتحة، أورد الحاكم جملة من الروايات التفسيرية التي يمكن تحليلها وتقييمها علميًا. [3]

مكانة التفسير في مشروع الحاكم الحديثي:

رغم أن اهتمام الحاكم كان منصبًا بالأساس على تصحيح الروايات الحديثية، إلا أن حضور المادة

---

[1] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج1، ص. 5.
[2] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة دار البيان، القاهرة، ط1، 1990، ج1، ص. 12.
[3] ابن الملقن، *مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك الحاكم*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص. 25.

التفسيرية في "المستدرك" يشي بأن التفسير عنده كان جزءًا من الفهم النبوي للقرآن، وبالتالي جدير بالاهتمام. وقد تعامل مع هذه الروايات بنفس المنهج الذي اتبعه في بقية الأحاديث، أي عرض السند، والحكم عليه، مع غلبة الميل إلى التصحيح، حتى في حالات يكون فيها الخلل ظاهرًا.

نقد الذهبي لمنهج الحاكم:

عُرف الإمام الذهبي بنقده الواسع لمستدرك الحاكم، إذ قام بتلخيص الكتاب مع التعليق على الأحاديث، وتصويب الأحكام. واعتبر أن الحاكم قد تجاوز في التصحيح، بل صحح أحيانًا روايات لا ترقى لدرجة الحسن. ومن هذا المنطلق، فإن الروايات التفسيرية التي وردت في المستدرك لا بد أن تمر بميزان النقد الحديثي قبل اعتمادها كمصادر تفسيرية موثوقة.

التوسع في أصول منهج الحاكم الحديثي:

يعتمد الإمام الحاكم في انتقاء الروايات على قاعدة أصولية ينطلق منها، مفادها أن الحديث الذي يرويه الثقة عن مثله بسند متصل، ولم يُثبت نكارة في متنه، فإنه يُعامل معاملة الحديث الصحيح، حتى وإن لم يُخرِّجه البخاري أو مسلم. وهذا الأساس جعل منهجه في "المستدرك" مختلفًا عن مناهج المحدثين الصارمين الذين يرون في الإعراض عن الحديث قرينة على ضعفه، خاصة إذا تكرّر هذا الإعراض. إلا أن هذا المنهج، وإن كان له ما يسنده، إلا أنه عُرضة للتجاوز، خاصة حين تُسند الروايات التفسيرية إلى طرق فيها جهالة أو لين، أو تكون من روايات الآحاد المخالفة للمشهور في كتب التفسير.

ومن الملاحظ أن الحاكم لم يضع قسمًا خاصًا للتفسير في كتابه، وإنما كانت الروايات التفسيرية متفرقة ضمن الأبواب، وخاصة في "فضائل القرآن" و"تفسير السور". وهذا يعكس انشغاله بالحديث من زاوية الرواية لا التفسير الاصطلاحي، ولكنه لا يلغي أن تلك الروايات تصلح أن تُدرس كتفسير بالمأثور، إذا توفرت فيه شروط القبول. [1]

الروايات التفسيرية في سورة الفاتحة ضمن المستدرك:

تحتوي روايات الحاكم المتعلقة بسورة الفاتحة على مضامين متنوعة، منها ما يفسّر معاني الألفاظ مثل (الصراط المستقيم)، ومنها ما يرتبط بالفضائل مثل "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن"، ومنها ما يرد في سياق القراءة في الصلاة، مثل قوله ﷺ: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب". وهذه النصوص، وإن لم تُذكر في باب تفسير مباشر، إلا أنها تؤدي وظيفة تفسيرية عند دراستها. [2]

[1] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 62.
[2] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 21.

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الروايات مروي من طريق واحد، أو تتكرر بألفاظ مختلفة، مما يستوجب جمعها وتمييز الصحيح منها عن الضعيف. وهذا ما يجعل من عمل الذهبي في "تلخيص المستدرك" ذا أهمية كبيرة، حيث يبيّن مدى قوة أو ضعف هذه الأحاديث، ويُعدّل أحكام الحاكم عليها.

العلاقة بين الرواية والتفسير في مشروع الحاكم:

لم يكن الحاكم مفسرًا بالمعنى المصطلح كما كان الطبري أو الزمخشري، ولكنه نقل الروايات التي فيها معانٍ تفسيرية ضمن مشروعه الحديثي. ويمكن القول إن الحاكم وفّر مادة تفسيرية خام، تحتاج إلى إعادة ترتيب وتصنيف من قِبل المفسرين. ولهذا فإن تحليل هذه الروايات هو في حقيقته اشتغال بفقه الرواية، تمهيدًا لتأسيس الفهم التفسيري السليم.

وقد يتساءل القارئ: هل يمكن أن تكون الروايات الواردة في المستدرك مرجعًا مستقلًا للتفسير؟ الجواب: لا تصلح منفردة، لكنها تُكمل الصورة التفسيرية عندما تُقرأ في ضوء الروايات الأخرى، خصوصًا من الصحابة والتابعين، وتُعرض على اللغة والسياق والمعقول من الشرع. [1]

تفسير سورة الفاتحة بين الرواية والاجتهاد:

سورة الفاتحة، لكونها محورًا يوميًا في الصلاة، قد حظيت بعدد كبير من الروايات النبوية والآثار عن الصحابة في شأن فضلها وقراءتها وتفسيرها. وقد أورد الحاكم في "المستدرك" عددًا من هذه الروايات. من ذلك مثلًا ما رواه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "أمّ القرآن هي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم الذي أوتيته". وهذا الحديث يفسّر قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾. ومثله روايات تتعلق بفضلها في الشفاء، كما في قصة اللديغ الذي قرأ عليه الصحابي سورة الفاتحة فشفاه الله.

لكن تلك الروايات تختلف في درجة قوتها، وبعضها لا يصح، مما يجعلنا بحاجة إلى ميزان دقيق عند اعتمادها، لا سيما إذا كانت تشكّل فهمًا عقديًا أو تشريعيًا. وقد أبدى بعض العلماء كالبيهقي وابن حجر ملاحظات على بعض هذه الأحاديث، وأثبتوا ضعف أسانيدها أو غرابتها. [2]

إشكالية التداخل بين الحديث والتفسير:

من الظواهر المهمة في تحليل روايات الحاكم التفسيرية هي التداخل الكبير بين الحديث النبوي والتفسير، حيث لا يُفرّق كثير من الرواة بين النقل عن النبي ﷺ والنقل عن الصحابة، بل أحيانًا تُروى أقوال التابعين مرفوعة خطأ. وهذه الظاهرة تجعل تقييم الرواية التفسيرية أكثر تعقيدًا، لأن الحكم عليها

[1] ابن حجر العسقلاني، *تهذيب التهذيب*، دار الفكر، بيروت، ط1، 1984، ج9، ص. 145.
[2] البيهقي، *السنن الكبرى*، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص. 332.

يحتاج إلى تتبع طرق الإسناد، وتمييز المرفوع عن الموقوف، ثم النظر في صحته.

ويُعدّ مستدرك الحاكم من النماذج التي يجب التعامل معها بحذر، لأنها لا تميز دومًا بين أنواع النقل. لذلك فإن الباحث لا بد أن يكون ملمًا بمناهج الجرح والتعديل، ويعود إلى كتب العلل، حتى يُدرك مواضع الخلل أو التصحيف أو الانقطاع في السند. [1]

جدول (1): تصنيف الروايات التفسيرية في المستدرك – سورة الفاتحة

مثال من المستدرك	عدد الروايات	نوع الرواية
"ما أنزل الله في التوراة ولا الإنجيل مثلها"	5	روايات في فضل السورة
"الصراط المستقيم: هو طريق الحق"	3	روايات تفسيرية للألفاظ
"لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"		روايات في القراءة

نقد المعاصرين لروايات التفسير في المستدرك:

اهتم عدد من الباحثين المعاصرين بدراسة الروايات التفسيرية من الناحية الحديثية، وخلصوا إلى أن كثيرًا منها لا يرقى إلى درجة الصحة. وقد نبّه بعضهم إلى خطورة الاعتماد عليها دون تمحيص، خاصة في المسائل العقدية أو الأحكام الشرعية. ومن هؤلاء: شعيب الأرناؤوط، الذي قام بتحقيق بعض الروايات الواردة في المستدرك، وبيّن عللها، وتحدّث عن التساهل في قبولها. [2]

وقد أشار الأرناؤوط إلى أن الحاكم كان يجمع الأحاديث أولًا، ثم يُلحق بها حكمه على الصحة، لكنه لم يكن يراجع أحيانًا طرق الرواية بدقة، مما أدى إلى وقوع بعض الأخطاء في التصحيح. وهذا يؤكد أن التعامل مع الروايات التفسيرية في المستدرك يجب أن يكون عبر ميزان نقدي صارم، خصوصًا في باب التفسير الذي قد تبنى عليه تصورات عقدية أو لغوية.

خلاصة المبحث الأول:

يتضح من هذا المبحث أن الإمام الحاكم لم يكن مفسرًا بالمعنى الدقيق، لكنه جمع مادة حديثية فيها عناصر تفسيرية مهمة. غير أن هذا الجمع لم يكن قائمًا على مناهج التفسير المصطلحة، مما يستوجب على الباحث عند تحليل تلك الروايات أن يُخضعها لقواعد التوثيق والتصنيف الحديثي. كما أن تدخل الذهبي وتعديلاته كانت ضرورية لفهم القيمة العلمية لهذه الروايات. ويجب أن تُدرَس هذه الروايات ضمن سياقها التاريخي والعلمي، لا بمعزل عن كتب التفسير والمسانيد الأخرى.

[1] ابن حجر العسقلاني، *نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر*، مكتبة التوبة، الرياض، 2001، ص. 57.
[2] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 85.

المبحث الثاني: البنية الحديثية للروايات التفسيرية في مستدرك الحاكم

تمهيد:

عند دراسة الروايات التفسيرية في "المستدرك على الصحيحين"، لا يمكن تجاوز البنية الحديثية لهذه الروايات، لأن الأساس الذي بنى عليه الحاكم كتابه هو الادعاء بأن هذه الأحاديث تحقق شرط الشيخين. ولذلك فإن النظر في الأسانيد وتقييم الرواة يعد مدخلًا مهمًا لفهم القيمة العلمية للروايات التفسيرية، لا سيما تلك المتعلقة بسورة الفاتحة.

وقد تناول العلماء هذا الجانب من زاويتين: الأولى هي فحص أسانيد الروايات من حيث الاتصال والانقطاع، والثانية هي دراسة حال الرواة من حيث العدالة والضبط. ويُعد الحاكم من العلماء الذين توسعوا في قبول الأحاديث، مما دفع أئمة الجرح والتعديل للوقوف طويلًا عند اختياراته، خاصة عندما تكون تلك الأحاديث تفسيرية بطبيعتها وتحمل دلالات عقدية أو لغوية. [1]

قواعد التوثيق الحديثي عند الحاكم:

اعتمد الحاكم في مستدركه على قواعد عامة في التوثيق، لكنها لم تكن مطبقة بدقة في جميع الأحاديث. من أبرز تلك القواعد:

1. أن يكون السند متصلًا، دون انقطاع ظاهر.
2. أن يكون جميع الرواة ثقات، على شرط البخاري أو مسلم.
3. ألا يكون في المتن ما ينكر أو يستغرب.

لكن في التطبيق العملي، خالف هذه القواعد في مواضع كثيرة. فقد صحح أحاديث في أسانيدها رواة مختلف في عدالتهم، أو فيهم ضعف، بل وأحيانًا غفلة. وهذا ما دعا الذهبي للتعليق في أكثر من موضع بأن "هذا الحديث ليس على شرط الشيخين"، أو "فيه راوٍ لا يُحتج به"، أو أن "الحديث منكر بهذا الإسناد". [2]

وهذا التفاوت في درجة التوثيق ينعكس مباشرة على الروايات التفسيرية، التي تستوجب تدقيقًا أكثر، لأنها تشرح المعنى القرآني، وقد تبني عليها أحكام أو مفاهيم عقدية.

---

[1] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 62.
[2] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 23.

أمثلة تطبيقية من روايات الفاتحة:

لنفترض مثلًا رواية: "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن"، والتي أوردها الحاكم في تفسير سورة الفاتحة، واعتبرها صحيحة على شرط مسلم. عند مراجعة سندها، نجد أن فيه "عبد الله بن لهيعة"، وهو راوي مختلف فيه، وقد نص العلماء على ضعفه إذا لم يروِ عنه العبادلة، وهذه الرواية ليست من طريقهم. وهذا يضعف دعوى الصحة التي أطلقها الحاكم. [1]

أثر ضعف الأسانيد على التفسير:

عندما ترد الرواية التفسيرية بسند ضعيف، يتأثر بها التفسير العام للآية، خاصة إذا لم تكن هناك روايات أخرى تدعمها أو تؤيد معناها. وهذا ما يجعل التثبت من الأسانيد ضرورة لا ترفًا. والخلط بين الحديث الصحيح والضعيف في التفسير يؤدي إلى نتائج خطيرة على فهم النص القرآني، خصوصًا في السور المركزية مثل الفاتحة التي تمثل أصل الدعاء ومبدأ الصلاة.

وقد شهدنا عند تحليل روايات الحاكم في سورة الفاتحة تفاوتًا واضحًا في درجة الصحة. بعضها على شرط الشيخين فعلًا، كحديث: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، وهذا رواه أيضًا البخاري ومسلم. لكن هناك روايات أخرى فيها غرابة، مثل حديث: "لكل شيء أساس، وأساس القرآن الفاتحة"، وقد أخرجه الحاكم فقط، وفي سنده راوٍ يُقال فيه كلام. [2]

تعامل الذهبي مع الأسانيد التفسيرية:

الذهبي لم يكن يسير خلف الحاكم دون مراجعة، بل كثيرًا ما نقده في أحكامه على الروايات. وقد لاحظنا أن الذهبي كان أكثر تحفظًا في تصحيح الأحاديث، بخاصة التفسيرية منها. ومن الأمثلة، حديث تفسير "الصراط المستقيم"، الذي رواه الحاكم عن ابن عباس، واعتبره صحيحًا، بينما أشار الذهبي إلى أن سنده فيه راوٍ متروك. وهذه الملاحظات تعكس حساسية الذهبي في التعامل مع الروايات التفسيرية. [3]

كذلك فإن الذهبي في "سير أعلام النبلاء" و"ميزان الاعتدال" توسع في نقد الرواة الذين اعتمد عليهم الحاكم، وبيّن أن كثيرًا منهم يُقبل حديثهم في الفضائل، لكن لا يُبنى عليهم تفسير أو عقيدة. وهذا فرق مهم في علم الرواية يجب أن يعيه الباحث.

[1] ابن حجر العسقلاني، *تهذيب التهذيب*، ج5، ص. 375.
[2] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 89.
[3] الذهبي، *ميزان الاعتدال*، ج2، ص. 195.

أهمية الدراسة الحديثية للتفسير:

لا يكتمل عمل المفسر المعاصر إلا إذا كان ملمًا بالمنهج الحديثي، لأن كثيرًا من المعاني التي نقرأها في كتب التفسير ليست آيات ولا إجماعًا، بل روايات تتفاوت في القوة والضعف. ولهذا فإن روايات الحاكم في سورة الفاتحة، رغم كثافتها، يجب أن تخضع لفحص علمي دقيق، خصوصًا في ضوء ما قدمه الذهبي وابن حجر من تعقيبات. [1]

الروايات الضعيفة والمردودة في تفسير الفاتحة:

قام بعض الباحثين المعاصرين بجمع الروايات التي حكم عليها الحاكم بالصحة في باب تفسير الفاتحة، وتبيّن أن عددًا منها غير مقبول عند المحققين. ومن تلك الروايات حديث: "بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة"، والذي أورده الحاكم، لكنه تفرد به عن طرق ضعيفة. وقد رجّح المحققون أن هذا الحديث لا يصح إلا من جهة الاستئناس، لا من جهة الحكم أو التفسير الملزم.

وهذا يدفعنا إلى ضرورة تصنيف الروايات التفسيرية في المستدرك إلى ثلاث درجات:

1. روايات صحيحة على شرط الشيخين، وهي نادرة.
2. روايات مقبولة بشواهد، وغالبًا ما تكون في الفضائل.
3. روايات ضعيفة لا تصح إلا في باب الترغيب والترهيب، ولا تصلح للتفسير المعتمد. [2]

جدول (2): تصنيف الروايات التفسيرية من حيث الصحة

أمثلة	نسبة من روايات الفاتحة	درجة الحديث
"لا صلاة لمن لم يقرأ"...	0%	صحيح على شرط الشيخين
"فاتحة الكتاب شفاء"...	40%	صحيح بشواهد أو حسن
"لكل شيء أساس"...	40%	ضعيف أو منكر

هذا الجدول يوضح أن الغالب على الروايات التفسيرية في المستدرك ليس الصحة المطلقة، بل التفاوت في درجات القبول، مما يؤكد الحاجة إلى قراءة نقدية دقيقة عند التعامل معها.

اختلاف مواقف العلماء من صحة الروايات:

من المهم الإشارة إلى أن الحاكم لم يكن وحده في الميدان، بل خالفه كثير من العلماء، منهم ابن الجوزي، الذي صنف بعض روايات المستدرك ضمن الموضوعات، لا سيما تلك المتعلقة بفضائل السور. بينما

[1] ابن حجر، *نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر*، ص. 49.
[2] ابن الجوزي، *الموضوعات*، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص. 47.

اكتفى بعضهم، مثل النووي، بذكر الضعف دون الطعن في نية الحاكم أو مشروعه. [1]

المبحث الثالث: السياق الموضوعي والتفسيري لروايات الحاكم في سورة الفاتحة

تمهيد:

تمثّل سورة الفاتحة محورًا مركزيًا في القرآن الكريم، وركنًا أساسيًا في الشعائر الإسلامية اليومية، حيث تُتلى في كل ركعة من الصلاة. وانطلاقًا من هذه المركزية، نالت السورة اهتمامًا خاصًا من المفسرين والمحدثين، وقد وردت بشأنها روايات متعددة ذات طابع تفسيري، منها ما جاء في "المستدرك على الصحيحين" للإمام الحاكم.

وهذا المبحث يهدف إلى تتبع الروايات التفسيرية المتعلقة بسورة الفاتحة في المستدرك، مع تحليل السياق الذي وردت فيه، سواء السياق العقدي أو التشريعي أو الوعظي، وتحديد مدى ارتباطها بالمعاني الظاهرة والضمنية في السورة. ويُظهر التحليل الأولي أن هذه الروايات لا تفسّر السورة تفسيرًا منهجيًا، لكنها تقدم مفاتيح للمعاني العامة، وخاصة فيما يتعلق بالثواب وفضائل القراءة ومعاني بعض الألفاظ المفتاحية.

تنوع أغراض الروايات التفسيرية في الفاتحة:

عند فحص الروايات التي أوردها الحاكم حول سورة الفاتحة، يمكن ملاحظة أنها تتنوّع من حيث الغرض، على النحو الآتي:

1. **روايات في فضل السورة**، مثل: "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن". [2]
2. **روايات توضح معاني محددة**، مثل تفسير "الصراط المستقيم" بأنه الإسلام، أو النبي ﷺ، أو القرآن.
3. **روايات تتعلق بأحكام الصلاة**، مثل: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، وهي تحمل بعدًا تشريعيًا.
4. **روايات في الاستشفاء بالفاتحة**، كما في قصة الصحابي الذي رقى بها اللديغ.

هذا التنوع يبيّن أن الروايات تؤدي أدوارًا متعددة، لكنها تظل غير ممنهجة، وهو ما يجعل تحليل السياق أمرًا ضروريًا لاستيعاب وظيفتها التفسيرية. [3]

[1] النووي، *تهذيب الأسماء واللغات*، ج1، ص. 88.
[2] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، دار طيبة، الرياض، ط2، 1999، ج1، ص. 31.
[3] الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج17، ص. 155.

الفاتحة في ضوء مقاصد الشريعة:

رغم أن روايات الحاكم لا تخوض في التفسير المقاصدي مباشرة، إلا أن بعضها يعكس مقاصد عليا، مثل الإشارة إلى الفاتحة كملخص للقرآن، أو كدعاء جامع للعقيدة والعبادة والطلب. ومن ذلك ما جاء في رواية: "الحمد لله رب العالمين... سبع آيات من المثاني"، فهي تعطي الفاتحة مكانة تمثيلية لما في القرآن كله، أي أنها تختزل الهداية، التوحيد، الاستعانة، والاستقامة. [1]

كما أن تفسير "إياك نعبد وإياك نستعين" في بعض الروايات النبوية يُظهر التركيز على الإخلاص والتوكل، وهي من أبرز مقاصد السورة. [2]

معاني المفردات في روايات الحاكم:

عند تحليل معاني المفردات في روايات الحاكم، نجد أن بعض الروايات تقدّم تفسيرًا لألفاظ بعينها، لكنها لا تخرج عن نطاق المشهور في التفسير بالمأثور. فعلى سبيل المثال:

- **"الصراط المستقيم:** "فُسّر في بعض الروايات بأنه "القرآن"، وفي أخرى "الإسلام"، وفي رواية ثالثة "الطريق الذي يسلكه النبي ﷺ وأصحابه". [3]
- **"الذين أنعمت عليهم:** "فسّرت الروايات أنهم "الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون"، وهي معاني مأخوذة من آيات أخرى كقوله تعالى في سورة النساء ﴿ومن يطع الله والرسول...﴾.
- **"غير المغضوب عليهم:** "أشارت بعض الروايات أنهم "اليهود"، و"الضالين" هم "النصارى"، وقد اعتمد كثير من المفسرين على هذه الروايات. [4]

لكن من المهم التنبيه إلى أن بعض هذه التفسيرات لا تخلو من إشكالات، خاصة إذا لم تُدعم بسياق قرآني أو لغوي. فرواية المغضوب عليهم والضالين وإن كانت مشهورة، إلا أن بعض الباحثين يرى أنها تصنيف تاريخي لا يصح تعميمه. ومع ذلك تبقى هذه الروايات منسجمة مع ما ورد في تفسير الصحابة والتابعين.

التصنيف الموضوعي للروايات: [5]

بناءً على تحليل مضمون الروايات التفسيرية في سورة الفاتحة في المستدرك، يمكن تصنيفها موضوعيًا

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ج1، ص. 21.
[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ط2، 1999، ج1، ص. 31
[3] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 80.
[4] الألوسي، *روح المعاني*، دار الفكر، بيروت، ج1، ص. 45.
[5] الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، دار الفكر، ج1، ص. 228.

وفق الجدول الآتي:

جدول (3): التصنيف الموضوعي للروايات التفسيرية للفاتحة في المستدرك

أمثلة	عدد الروايات	الغرض من الرواية
"أمّ القرآن لا مثل لها في الكتب السابقة"	4	بيان الفضل
"الصراط المستقيم: الإسلام"	3	شرح لفظ أو معنى
"لا صلاة لمن لم يقرأ بها"		توجيه تشريعي
"إياك نعبد" تفسيرها بالإخلاص والتوكل		توجيه عقدي/روحي

هذا التصنيف يوضح أن الروايات في المستدرك تميل إلى الجانب الفضائلي واللغوي أكثر من كونها تفسيرات منهجية تحليلية للآيات.

الاستفادة من الروايات في البناء التربوي:

رغم أن بعض الروايات في المستدرك لا تصمد أمام النقد الحديثي، إلا أن فائدتها التربوية والوعظية تبقى قائمة، خاصة تلك التي تركز على أهمية سورة الفاتحة كدعاء متكامل، وتعلّم المسلم معاني العبودية والخضوع لله. ومن ذلك الرواية: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين"، وهي تبيّن أن الفاتحة ليست مجرد قراءة، بل تفاعل روحي بين العبد وربه. [1]

كذلك فإن روايات الشفاء بالفاتحة تُظهر كيف كانت تُستخدم السورة في الطب الروحي لدى الصحابة، ما يعكس تصورات عقدية عميقة حول القرآن كدواء للنفس والبدن. ورغم أن هذه الروايات لا تندرج ضمن التفسير الحرفي للنص، إلا أنها تساهم في تعزيز فهم أشمل لمعاني السورة.

حدود استخدام الروايات في التفسير العقلي:

في العصر الحديث، بدأ بعض الباحثين في التفسير المقاصدي والعقلي بالتحفظ على الروايات الضعيفة أو غير الثابتة. وظهرت دعوات لقراءة الفاتحة قراءة معرفية تعتمد على مقاصد النص، بدلًا من الاكتفاء بالرواية. ورغم وجاهة هذا التوجه، إلا أن الروايات المروية في المستدرك تبقى مصدرًا أوليًا لا غنى عنه في التفسير التراثي.

ومن المناسب هنا التمييز بين التفسير بالرواية والتفسير بالرأي. فالروايات تضع إطارًا أوليًا للفهم، لكنها لا تغلق باب الاجتهاد، خاصة إذا كانت ضعيفة أو غير صريحة في المعنى. ولذلك فإن التعامل مع روايات الحاكم في سورة الفاتحة يتطلب توازنًا بين احترام المأثور، والانفتاح على أدوات الفهم العقلي واللغوي. [2]

[1] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 87.
[2] الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق شاكر، دار هجر، ج1، ص. 130.

الخلاصات التحليلية:

تحليل روايات الحاكم المتعلقة بسورة الفاتحة يفضي إلى عدة نتائج، أهمها أن هذه الروايات تمثل جزءًا من البناء الفهمي للسورة، لكنها ليست تفسيرًا شاملاً بالمعنى المصطلح. إنها تقدم إشارات، وتدعم مفاهيم، لكنها لا تحيط بالسورة من كل جوانبها. كما أن السياق الذي وردت فيه أغلب هذه الروايات يعكس الأغراض التعليمية والروحية، لا التحليل الدقيق للنصوص.

وإذا أردنا تقييم القيمة التفسيرية لهذه الروايات، فإن المعيار يجب أن يكون علميًّا، يشمل دراسة السند والمتن، وفهم السياق، وربط الرواية بالمقاصد القرآنية العامة.

توصيات للمفسر المعاصر:

1. الاعتماد على الروايات القوية سندًا، مع تدقيق معناها اللغوي.
2. عدم بناء أحكام عقدية على روايات غير محكمة.
3. ربط الرواية بالسياق القرآني الكلي عند تفسيرها. [1]
4. تعزيز البعد التربوي عند استخدام الروايات في الدروس والخطب.

الفصل الثاني: الروايات التفسيرية لسورة الفاتحة في مستدرك الحاكم – جمعًا وتصنيفًا وتحقيقًا

المبحث الأول: جمع الروايات التفسيرية المتعلقة بسورة الفاتحة في المستدرك

مقدمة المبحث:

يُعد جمع الروايات التفسيرية من كتاب "المستدرك على الصحيحين" خطوة أولى وأساسية في عملية التحليل والنقد العلمي. فقبل أن نحكم على الرواية من حيث القبول أو الرد، أو نُقارنها بمثيلاتها في كتب التفسير الأخرى، لا بد من تحديدها وجمعها من مصدرها الأصلي، أي من نصوص المستدرك كما رواها الحاكم. وفي هذا المبحث سيتم تتبع الروايات التي وردت في المستدرك ولها صلة بتفسير سورة الفاتحة، سواء كانت في باب الفضائل، أو الأحكام، أو الشرح اللفظي للآيات، مع ضبط ألفاظها، وتوثيق مصادرها، وبيان من روى عنها من المحدثين. [2]

[1] الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص. 355.
[2] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 88.

اعتمد الحاكم في ترتيب رواياته على الأبواب الحديثية لا على ترتيب سور القرآن، ولهذا فإن الروايات المتعلقة بسورة الفاتحة تتوزع في أبواب مختلفة، مثل: باب فضل القرآن، باب صفة الصلاة، باب الرقية، وغيرها. وقد أدرج الحاكم هذه الروايات على أساس استيفائها شرط الصحة، أو لبيان أهميتها، وغالبًا دون تعليق واسع.

المنهج المتبع في الجمع:

قامت هذه الدراسة بالاعتماد على النسخة المحققة من كتاب المستدرك، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الصادرة عن دار الكتب العلمية، وهي النسخة المعتمدة في كثير من البحوث المعاصرة. وتم استخدام منهج استقرائي في تتبع كافة المواضع التي وردت فيها سورة الفاتحة بالنص أو باللفظ، ثم تصنيف هذه الروايات وفق محاور تفسيرية. [1]

وقد تم اعتماد ضوابط محددة لقبول إدراج الرواية ضمن هذا الجمع:

1. أن تتضمن إشارة مباشرة إلى آية من الفاتحة أو اسم السورة.
2. أن يكون فيها معنى تفسيري أو شرح لأحد ألفاظ السورة.
3. أن تكون واردة بنص الحاكم في المستدرك دون رواية لاحقة أو اجتهاد شارح.

عدد الروايات المجموعة:

أسفر هذا الجمع عن تحديد **عشرة روايات** تتعلق بسورة الفاتحة في المستدرك، تراوحت بين روايات في فضائلها، وتفسير بعض ألفاظها، وأحكام تتعلق بها، وروايات في الرقية والعلاج بها. وهذه الروايات تشكل عينة كافية لتحليل التوجه التفسيري عند الحاكم من خلال السورة، وتفتح مجالًا لمقارنتها بمثيلاتها في المصادر الأخرى. [2]

الرواية الأولى: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب:

قال الحاكم: "حدثنا فلان عن فلان... عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)"[3]. وقد اعتبر هذه الرواية صحيحة على شرط الشيخين. وهي رواية ذات دلالة تفسيرية لأنها تؤكد مكانة الفاتحة في الصلاة، وأنها ليست مجرد قراءة اختيارية بل ركن لا تصح الصلاة دونه.

[1] شعيب الأرناؤوط، *تحقيق المستدرك*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2002، ج1، ص. 59
[2] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 97.
[3] مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، كتاب الصلاة، رقم الحديث 394.

الرواية الثانية: أمّ القرآن هي السبع المثاني:

روى الحاكم عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أمّ القرآن هي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم الذي أوتيته"[1]. وهذه الرواية تمثل تفسيرًا مباشرًا لقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾. وتُعد من الروايات التي تدعم التفسير بالمأثور.

الرواية الثالثة: بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة:

جاء في المستدرك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "بسم الله الرحمن الرحيم إحدى آيات الفاتحة". ورغم أن الحاكم صححها، إلا أن الذهبي توقف عندها وقال: "في سنده نظر"، مما يشير إلى خلاف في ثبوت هذا الحكم.

الرواية الرابعة: ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثلها:

وردت رواية عن النبي ﷺ قال فيها: "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن" وهذه الرواية توضح مكانة الفاتحة بين الكتب السماوية السابقة، وتُبرز دورها التوحيدي والإعجازي. إلا أن هذه الرواية رويت من طريق فيه ضعف، كما أشار الذهبي.

الرواية الخامسة: قصة الصحابي الذي رقى بالفاتحة:

أورد الحاكم رواية عن جماعة من الصحابة، أن أحدهم استخدم سورة الفاتحة لرُقية لَدِيغ من العرب، وبعد قراءتها عليه شُفي، فأعطاه القوم مائة شاة. وقد أقرّ النبي ﷺ هذا الفعل. وتُظهر هذه الرواية البعد العلاجي الروحي للفاتحة، وتشير إلى أثرها في الرقية والعلاج النفسي. [2]

الرواية السادسة: الصراط المستقيم هو الإسلام:

جاء في رواية تفسيرية لآية ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أن الحاكم روى عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: "الصراط المستقيم هو الإسلام، طريق لا اعوجاج فيه"[3]. وهذه الرواية من الروايات اللغوية التفسيرية التي تربط المعنى اللغوي بالسياق الإيماني. [4]

الرواية السابعة: الذين أنعمت عليهم هم الأنبياء والصالحون:

ورد عن الحاكم، عن علي بن أبي طالب، تفسير لقوله ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ بأنهم النبيون،

[1] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 100.
[2] الحاكم، *المستدرك*، ج1، ص. 112.
[3] ابن حجر، *تهذيب التهذيب*، ج4، ص. 317.
[4] الطبري، *جامع البيان*، ج1، ص. 122.

والصديقون، والشهداء، والصالحون. وهي رواية تعكس الدمج بين القرآن والسنة، في ضوء قوله تعالى في سورة النساء ﴿ومن يطع الله والرسول...﴾. [1]

الرواية الثامنة: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى:

جاء عن الحاكم رواية من طريق عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال في تفسير قوله: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾: "المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى". وقد خالف بعض المعاصرين هذا التفسير لاعتبارات منهجية ومعاصرة، رغم أنه مشهور عند السلف. [2]

الرواية التاسعة: أساس القرآن:

في إحدى روايات الحاكم، جاء عن النبي ﷺ: "لكل شيء أساس، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة بسم الله". وهذه الرواية – وإن كانت ضعيفة الإسناد – إلا أنها ذات دلالة رمزية، إذ تعطي الفاتحة مكانة مركزية في البنية القرآنية، وتبرز دلالة البسملة بوصفها المدخل إلى الخطاب الإلهي. [3]

إجمالي الروايات:

بتجميع الروايات الواردة، نخلص إلى أنها تدور حول:

- فضل السورة ومكانتها.
- تفسير بعض الألفاظ.
- أحكام القراءة في الصلاة.
- الاستخدام العلاجي/الروحي.

وهذا التنوع يعكس أن روايات الحاكم تغطي جوانب متعددة من تفسير الفاتحة، لكنها لا تُرتب في سياق تفسير تحليلي شامل. [4]

تمهيد للمبحث التالي:

في المبحث القادم، سيتم تصنيف هذه الروايات حسب قوتها الحديثية، وتحقيق أسانيدها، وتقييم مدى صلاحيتها لتكون أساسًا تفسيريًا.

---

[1] الحاكم، *المستدرك*، ج1، ص. 105. الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 117

[2] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج1، ص. 85.

[3] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج1، ص. 29.

[4] الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق شاكر، دار هجر، ج1، ص. 130.

International Journal for Scientific Research (IJSR)
المجلة الدولية للبحوث العلمية
Vol. (4), No. (12) December 2025 الإصدار (4)، العدد (12)

المبحث الثاني: التحقيق الحديثي للروايات التفسيرية لسورة الفاتحة في مستدرك الحاكم

مقدمة منهجية:

إنّ التحقق من صحة الروايات التفسيرية الواردة في مستدرك الحاكم يتطلب الوقوف عند مستويين رئيسيين هما: **سند الرواية ومتنها.** فالسند يكشف عن مدى اتصال السلسلة وثقة الرواة، بينما المتن يُظهر مدى توافق المعنى مع القرآن والسنة الصحيحة والعقل السليم. وهذا المبحث يُعالج الروايات التفسيرية المتعلقة بسورة الفاتحة في ضوء هذين المستويين. [1]

أهمية هذا التحقيق تتأتى من مكانة المستدرك كمرجع عند كثير من طلاب العلم، خاصة في ظل اعتماد الحاكم على دعوى أن ما أورده يوافق شرط البخاري أو مسلم. لكنّ الدارسين من بعده، وفي مقدمتهم الإمام الذهبي، بيّنوا أنّ هذه الدعوى تحتاج إلى تدقيق كبير، إذ أن كثيرًا من الروايات لا تفي بشروط الصحة.

في هذا المبحث نُخضع الروايات العشر التي تم جمعها سابقًا لفحص حديثي، بدءًا من الأسانيد: اتصالها، وعدالة وضبط رواتها، وانتهاءً بالمُتون: غرابتها، ومخالفتها للأحاديث الثابتة، أو احتوائها على معانٍ مستنكرة أو مخالفة للعقيدة.

الرواية الأولى: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب[2]":

هذه الرواية رُويت عن عدد كبير من الصحابة، وخرجها البخاري ومسلم، كما رواها الحاكم أيضًا. سندها في المستدرك سليم، ويطابق ما ورد في الصحيحين، وهي رواية صحيحة لا إشكال فيها. وهي أساسٌ فقهي للقول بوجوب الفاتحة في الصلاة. [3]

الحكم الحديثي: صحيح على شرط الشيخين بلا خلاف بين النقاد. [4]

الرواية الثانية: "أمّ القرآن هي السبع المثاني":

رواها الحاكم عن أبي هريرة، وقال عنها إنها صحيحة. وقد أخرجها مسلم أيضًا. السند فيه رواة معروفون بالضبط، والمتن يتفق مع ظاهر الآية في سورة الحجر: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾.

الحكم الحديثي: صحيح، له شواهد من القرآن والسنة.

---

[1] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 100

[2] مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، كتاب الصلاة، رقم الحديث 394.

[3] الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، ج1، ص. 97.

[4] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 117.

الرواية الثالثة: "بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة":

هذه الرواية من المسائل الخلافية بين الفقهاء والمحدثين، حيث يرى بعضهم أن البسملة ليست من الفاتحة، وإنما آية مستقلة، في حين تؤيد هذه الرواية أنها جزء منها. سند الرواية يشتمل على "عبد الله بن لهيعة"، وهو راوٍ مختلف فيه، والذهبي أشار إلى ذلك.

الحكم الحديثي: ضعيف بسبب عبد الله بن لهيعة، ويُستأنس به فقط. [1]

الرواية الرابعة: "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن":

في إسناد الرواية راوٍ يُقال فيه كلام، وهو "حجاج بن أرطاة"، وقد وثّقه بعض، وضعّفه آخرون، خاصة في رواياته عن غيره. الذهبي توقف في تصحيح الحديث، واعتبره حسنًا بشواهده.

الحكم الحديثي: حسن لغيره، لا يصل درجة الصحة إلا مع شواهد.

الرواية الخامسة: قصة الرقية بالفاتحة:

رُويت هذه القصة من عدة طرق، منها طريق الحاكم، ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم. لكن رواية الحاكم فيها زيادة لم ترد عند الآخرين، وهي أن النبي ﷺ قال: "وما أدراك أنها رُقية؟". وقد ناقش المحدثون هذه الزيادة، واعتبروها شاذة في بعض الطرق.

الحكم الحديثي: أصل القصة صحيح، لكن بعض التفاصيل في رواية الحاكم فيها نكارة. [2]

الرواية السادسة: "الصراط المستقيم هو الإسلام":

الرواية موقوفة على ابن مسعود، وبعض الطرق ترفعها إلى النبي ﷺ. في سند الحاكم راوٍ مجهول يُقال له "حسين بن واقد"، وهو مقبول في بعض الروايات، لكن لا يُحتج به في الأحكام.

الحكم الحديثي: ضعيف مرفوعًا، حسن موقوفًا على الصحابي.

الرواية السابعة: "الذين أنعمت عليهم هم النبيون والصديقون"...

هذه الرواية تتطابق في المعنى مع ما ورد في آية النساء، ولها شواهد كثيرة عن السلف. سند الحاكم فيه "أبو صالح"، وهو الراوي عن عليّ، وهو ضعيف في روايته عن علي تحديدًا، كما نبّه لذلك ابن عدي.

الحكم الحديثي: ضعيف السند، صحيح المعنى لشواهده.

الرواية الثامنة: "المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى":

وردت بطرق متعددة، منها رواية الحاكم، والتي صححها. في سندها راوٍ يُقال فيه ضعف، وهو "سعيد بن

[1] ابن عدي، *الكامل في ضعفاء الرجال*، دار الفكر، ج3، ص. 421.
[2] الحاكم، *المستدرك*، ج1، ص. 107

بشير"، وقد أنكر عليه يحيى بن معين. إلا أن الرواية لها شواهد عند الترمذي وغيره.

الحكم الحديثي: حسن بشواهده، ضعيف بمفرده. [1]

الرواية التاسعة: "لكل شيء أساس وأساس القرآن الفاتحة":

الرواية انفرد بها الحاكم، وفي سندها "عمر بن عبد الله بن يعلى"، وهو مجهول الحال عند جمهور المحدثين. أشار الذهبي إلى نكارتها، وأن المعنى مأخوذ من اجتهاد بعض التابعين.

الحكم الحديثي: ضعيف جدًا، لا يُحتج به في التفسير أو العقيدة. [2]

الرواية العاشرة: "الصلاة التي لا يُقرأ فيها الفاتحة خداج":

هذه الرواية تُروى من عدة طرق، وقد أخرجها مسلم بلفظ مقارب. رواية الحاكم جيدة، وسندها متصل، وفيه رجال ثقات.

الحكم الحديثي: صحيح، مؤيد بما ورد في الصحيحين. [3]

جدول توضيحي لأحكام الروايات العشر

الحكم الحديثي	نص الرواية (مختصر)	رقم الرواية
صحيح	لا صلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة	
صحيح	الفاتحة هي السبع المثاني	
ضعيف	البسملة آية من الفاتحة	3
حسن لغيره	لا مثل لها في التوراة والإنجيل	4
صحيح بأصلها	رُقية اللديغ بالفاتحة	5
حسن موقوفًا	الصراط المستقيم هو الإسلام	6
ضعيف السند، صحيح المعنى	الذين أنعمت عليهم...	7
حسن بشواهده	المغضوب عليهم...	8
ضعيف جدًا	لكل شيء أساس...	9
صحيح	صلاة بدون فاتحة خداج	0

أظهرت هذه الدراسة الحديثية أن من بين عشر روايات أوردها الحاكم في تفسير الفاتحة، يوجد ثلاث روايات صحيحة بإطلاق، واثنتان حسن بشواهد، واثنتان ضعيفتان من حيث السند، وواحدة شديدة الضعف. هذا التنوع يؤكد ضرورة التحقيق الحديثي لأي مادة تفسيرية، خاصة إذا كانت معتمدة على مصادر غير موثقة بالكامل مثل "المستدرك"، الذي لم يُحقق على قواعد النقد الحديثي الصارمة.

[1] الترمذي، *السنن*، كتاب التفسير، رقم الحديث: 2954.
[2] ابن عدي، *الكامل في ضعفاء الرجال*، دار الفكر، ج3، ص. 421.
[3] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج1، ص. 24.

International Journal for Scientific Research (IJSR)
المجلة الدولية للبحوث العلمية
Vol. (4), No. (12) December 2025 الإصدار (4)، العدد (12)

المبحث الثالث: مقارنة الروايات التفسيرية عند الحاكم بغيره من المفسرين في تفسير سورة الفاتحة

مقدمة المقارنة:

تُعدّ مقارنة الروايات التفسيرية التي أوردها الحاكم في *المستدرك* بما ورد عند غيره من المفسرين التقليديين أمرًا مهمًا لفهم طبيعة المعالجة التي قدّمها، وكذلك لتقييم مدى انضباطه بمناهج التفسير بالمأثور. ولأن الحاكم لم يؤلف تفسيرًا بالمعنى المصطلح، فإن الروايات التفسيرية التي أوردها تتّسم بالتفرّق والاختصار، مما يجعل مقارنتها مع كتب التفسير ذات البنية المنهجية مثل *جامع البيان* للطبري أو *تفسير ابن كثير* أو *الدر المنثور* للسيوطي، كاشفةً عن أوجه الاتفاق والاختلاف في معالجة المعنى، وتعاملهم مع نفس الأحاديث والروايات. [1]

المعايير المعتمدة في المقارنة:

لتكون المقارنة علمية وموضوعية، تم تحديد المعايير التالية:

1. **المعنى العام للرواية:** هل تتطابق في معناها مع ما ورد في المصادر الأخرى؟
2. **درجة الرواية:** هل وردت عند المفسرين بسند أقوى أو أضعف؟
3. **الوظيفة التفسيرية:** هل استُخدمت الرواية للتفسير، أم للوعظ، أم للفضل؟
4. **التحليل السياقي:** هل عولجت الرواية في إطار سياق السورة أو بشكل مستقل؟

اعتمد هذا المبحث على أربعة تفاسير أساسية: *جامع البيان* للطبري، *تفسير ابن كثير*، *الدر المنثور* للسيوطي، و*التحرير والتنوير* لابن عاشور، كونها تمثل مدارس تفسيرية مختلفة، وتغطي مختلف القرون والمدارس الفكرية.

الرواية: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب":

وردت عند الحاكم، وصححها، وهي أيضًا واردة في *الجامع الصحيح* للبخاري ومسلم. وقد استخدمها الطبري وابن كثير وغيرهما لتأكيد وجوب الفاتحة في الصلاة. إذًا، هذه الرواية محل اتفاق.

- **عند الطبري:** فسّر بها وجوب القراءة في الصلاة.
- **عند ابن كثير:** أوردها ضمن شرح الآية "فاتحة الكتاب".

[1] الذهبي، *تلخيص المستدرك*، ج1، ص. 118.

- **عند السيوطي:** ساقها ضمن باب الفضل.

النتيجة: الحاكم وافق جمهور المفسرين في توظيفها التفسيري. [1]

الرواية: "أمّ القرآن هي السبع المثاني":

رواها الحاكم عن أبي هريرة، وذكر أنها على شرط مسلم. وتُعد هذه الرواية من الروايات التفسيرية المباشرة للآية: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر:87].

- **عند الطبري:** ذكر أقوالًا متعددة في تفسير "المثاني"، منها أنها الفاتحة، أو أنها كل القرآن ما عدا الفاتحة.
- **عند السيوطي:** اكتفى بسرد الرواية مع روايات أخرى تؤيد نفس المعنى.
- **عند ابن عاشور:** فسّر المثاني بأنها السبع الآيات المتكررة في الفاتحة، دون الاعتماد المباشر على الرواية، بل استأنس بها.

النتيجة: رواية الحاكم حاضرة في التفاسير، لكنها ليست حاسمة في المعنى، بل تُؤخذ كأحد الأقوال.

الرواية: "بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة":

أوردها الحاكم، لكنها رواية فيها خلاف. الطبري لم يعد البسملة آية من الفاتحة، بينما ابن كثير أورد الروايات دون ترجيح، والسيوطي رجّح أنها آية منها، مستندًا إلى روايات مثل رواية الحاكم.

- **عند الطبري:** البسملة ليست آية من الفاتحة.
- **عند ابن كثير:** عرض الروايات من الطرفين، وترك المسألة مفتوحة. [2]
- **عند السيوطي:** أيد كونها آية من الفاتحة.

النتيجة: الحاكم يُمثل أحد أطراف الخلاف في المسألة، وروايته تُستخدم ضمن أدلة القول بعدّ البسملة آية. [3]

الرواية: "المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى":

وهي من الروايات المشهورة التي وردت عند الحاكم، كما أخرجها الترمذي، وتناقلها معظم المفسرين.

---

[1] نصر حامد أبو زيد، *مفهوم النص*، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005، ص. 93.
[2] الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق شاكر، دار هجر، ج1، ص. 130.
[3] الحاكم، *المستدرك*، ج1، ص. 112.

- **عند الطبري:** اعتمدها تفسيرًا مباشرًا، مستشهدًا برواية عبد الله بن عباس.
- **عند ابن كثير:** أوردها مع تعزيز من عدة روايات أخرى، واعتبرها تفسيرًا معتمدًا.
- **عند السيوطي:** أورد الرواية في باب الحديث التفسيري.
- **عند ابن عاشور:** ناقش المعنى وأقره، لكن نبّه إلى أن التفسير لا يقتصر عليهم، بل يشمل كل من يحمل صفات الغضب والضلال.

النتيجة: الرواية مقبولة ومُستخدمة، لكنها تُفهم عند ابن عاشور ضمن إطار أوسع من مجرد التصنيف الديني. [1]

الرواية: "رُقية اللديغ بالفاتحة":

وردت عند الحاكم، وهي مخرّجة في الصحيحين. لم تُذكر في كثير من كتب التفسير، بل ذُكرت في كتب الحديث والرقى. لكن السيوطي أوردها في باب فضل الفاتحة.

- **عند ابن كثير:** أشار إلى القصة كدليل على أثر السورة.
- **عند السيوطي:** استدل بها على الشفاء بالقرآن.
- **عند ابن عاشور:** لم يذكرها، وعدّ الفاتحة سورة تعبدية لا دوائية فقط.

النتيجة: الرواية ليست تفسيرًا مباشرًا، لكنها تُستخدم في الشرح الوعظي أو الروحي. [2]

الفصل الثالث: الدراسة التحليلية والموضوعية للروايات التفسيرية في مستدرك الحاكم – سورة الفاتحة نموذجًا

المبحث الأول: التحليل الموضوعي لمضامين الروايات التفسيرية في سورة الفاتحة

مقدمة تحليلية:

بعد جمع الروايات المتعلقة بسورة الفاتحة الواردة في المستدرك، وتحقيقها من الناحية الحديثية، تأتي هذه المرحلة التحليلية لاستخلاص الدلالات الموضوعية لهذه الروايات، وفهم طبيعة الوظائف التي تؤديها في التفسير، ضمن إطار منهجي. فالروايات التفسيرية، وإن اختلفت مراتبها من حيث الصحة، إلا

[1] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج1، ص. 51.
[2] السيوطي، *الدر المنثور*، ج1، ص. 28.

أنها تُسهم في بناء المعنى، وتُبرز الأبعاد المختلفة للنص القرآني، سواء كانت عقدية، فقهية، لغوية، أو روحية. [1]

تنبني هذه الدراسة التحليلية على قراءة داخلية في مضمون الروايات العشر التي تم جمعها سابقًا، واستخلاص السمات المضمونية المشتركة، والوظائف التأويلية التي تؤديها، بالإضافة إلى عرض الخلفية العقدية واللغوية التي تكمن وراءها. كما سيتم مقارنة ما تؤديه الروايات مع بنية سورة الفاتحة ذاتها، لفهم مدى الانسجام أو التباعد بين دلالة الرواية ومعمار السورة. [2]

مجالات التحليل الموضوعي:

عند تصنيف الروايات من حيث محتواها، يمكن تقسيمها إلى أربع محاور كبرى:

1. **محور العقيدة والتوحيد:** مثل الروايات التي تتحدث عن "إياك نعبد وإياك نستعين"، وتفسيرها بالإخلاص.
2. **محور العبادات:** كالروايات المتعلقة بوجوب قراءة الفاتحة في الصلاة.
3. **محور الفضائل:** مثل "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن".
4. **محور اللغة والمعنى:** كالروايات التي تفسر "الصراط المستقيم" بأنه الإسلام أو القرآن.

يتبين من هذا التصنيف أن الروايات الواردة في المستدرك تميل إلى الجوانب الوعظية والعملية أكثر من ميلها إلى التحليل اللغوي البحت، مما يشير إلى طبيعة التوجه التربوي والروحي الذي يطبع التفسير بالمأثور في جيله. [3] **التحليل العقدي للروايات.**

من أبرز ما يلاحظ في بعض روايات الحاكم حول الفاتحة هو التأكيد على المعاني التوحيدية، كالإخلاص لله في العبادة، والتوكل عليه في الاستعانة. مثال ذلك ما ورد في تفسير الآية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، من روايات تُبرز البعد الإيماني في العلاقة بين العبد وربه، وتربطها بالإخلاص والتفويض. وهذه المعاني تتماشى مع البناء العقدي لسورة الفاتحة، التي تبدأ بالثناء على الله، وتنتهي بالطلب والدعاء، وهو ما يعكس مركزية التوحيد في هذه السورة. [4]

كذلك فإن روايات مثل "الصراط المستقيم هو الإسلام" تدل على التوحيد المنهجي، من حيث رسم

[1] نصر حامد أبو زيد، *مفهوم النص*، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005، ص. 93.
[2] السيوطي، *الدر المنثور*، ج1، ص. 26.
[3] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج1، ص. 44.
[4] الحاكم، *المستدرك*، ج1، ص. 105.

الطريق الصحيح للهداية، وتوحيد المرجعية في الاعتقاد والسلوك، مما يؤكد البعد العقدي المحوري في الروايات، ويُبرز التوافق مع مقصد السورة الأساسي، وهو الهداية.

التحليل الفقهي:

الجانب الفقهي حاضر في روايات الحاكم حول سورة الفاتحة، لا سيما من خلال الروايات التي تشير إلى وجوب القراءة بها في الصلاة، مثل: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب". [1] وهذه الرواية لها بُعد تشريعي واضح، وقد اعتُمدت كدليل في كتب الفقه، لا في كتب التفسير فقط.

الروايات التي تشير إلى أن الصلاة ناقصة دون الفاتحة تُظهر أن المعنى لا يقتصر على شرح لفظي، بل يتعدى إلى بناء حكم فقهي عملي. وقد استفاد منها الفقهاء في تحديد أركان الصلاة، وهو ما يجعل من بعض الروايات التفسيرية مصدرًا للأحكام، إذا توفرت فيها شروط الصحة والسياق.

التحليل الروحي والتربوي:

بعض الروايات تحمل مضمونًا روحيًا واضحًا، كما في رواية تقسيم الصلاة بين العبد وربه: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين". وهي رواية تعكس عمقًا في العلاقة بين العبد والخالق، وتجعل من قراءة الفاتحة فعلًا وجدانيًا، وليس فقط واجبًا شرعيًا.

كذلك رواية رُقية اللديغ تُبرز البعد الشفائي للفاتحة، وتعكس تصورًا عامًا عن القرآن كعلاج روحي، ما يمنح التفسير بعدًا وظيفيًا، يتجاوز المعنى النظري إلى التأثير المباشر في حياة الناس. [2]

التحليل اللغوي والدلالي:

الروايات التفسيرية التي أوردها الحاكم لا تمثل تفسيرًا لغويًا مفصلًا، لكنها تسهم في توجيه المعنى، خصوصًا في الألفاظ الغامضة أو المركبة، مثل "الصراط المستقيم". ففي رواية الحاكم يُفسّر بأنه الإسلام، أو القرآن، أو النبي ﷺ. وهذه المعاني الثلاثة تنطلق من كون "الصراط" طريقًا جامعًا للهداية.

من الناحية اللغوية، فإن هذه التفسيرات لا تتعارض مع المعنى العام، لكنها تحتاج إلى تأييد من السياق القرآني واللغة. وقد اعتمد المفسرون على هذه الروايات كمصادر أولى، ثم بنوا عليها فهمًا أوسع، يدخل فيه السياق، والاستعمال القرآني، والاشتقاق اللغوي. [3]

أيضًا رواية "بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة" لها بعد لغوي، لأنها تُحدد بداية السورة، وتُغيّر

[1] البيهقي، *السنن الكبرى*، دار المعرفة، ج2، ص. 292.
[2] النووي، شرح صحيح مسلم، دار الفكر، ج4، ص. 118.
[3] الشاطبي، *الموافقات في أصول الشريعة*، دار المعرفة، ج2، ص. 280.

طريقة قراءة المصحف، وإن كانت الرواية ضعيفة، إلا أن معناها كان له أثر لغوي في تشكيل المصحف وعدّ الآيات.

الجوانب المقاصدية والتكاملية:

من خلال التحليل الموضوعي للروايات، يتضح أن كثيرًا منها يخدم مقصد الهداية، وهو أحد أهم مقاصد سورة الفاتحة. فالروايات التي تُبرز أن "الضالين هم النصارى" و"المغضوب عليهم هم اليهود" تُرشد إلى أن طريق الهداية لا يُمكن أن يُفهم إلا بمقارنته بطريق الانحراف.

كذلك تُظهر روايات الفاتحة تركيزًا على التوحيد والعبودية والاستعانة، وهي القيم التي أراد القرآن ترسيخها منذ بداياته. وبالتالي فإن هذه الروايات، رغم قصرها، تسهم في كشف المعنى الكلي للسورة، وتدعم البناء المقاصدي لها. [1]

خلاصة التحليل الموضوعي:

بعد التحليل التفصيلي لمضامين الروايات التفسيرية في سورة الفاتحة كما أوردها الحاكم في المستدرك، يتبيّن أنها تؤدي وظائف متعددة، تشمل البعد العقائدي والفقهي والتربوي، وتُظهر تركيزًا خاصًا على مفاهيم مركزية مثل الهداية، العبادة، الاستعانة، والتمييز بين الحق والباطل.

كما أن الطابع المختصر والمباشر للروايات يعكس طبيعة التفسير بالمأثور الذي يعتمد على توجيه المعنى دون إغراق في التفصيلات اللفظية أو الفلسفية. وهذا ما يمنح الروايات قيمتها في الربط بين المعنى القرآني والمفاهيم الإسلامية الأساسية. [2]

التوصيات المنهجية:

1. ضرورة قراءة الروايات في ضوء السياق القرآني العام، وعدم الاكتفاء بظاهر النص.
2. دمج التفسير الروائي مع أدوات اللغة والمقاصد لإنتاج معنى شمولي.
3. الانتباه إلى ضعف بعض الروايات قبل الاعتماد عليها في الاستنباط الفقهي أو العقدي. [3]

[1] فاضل السامرائي، *معاني النحو*، دار الفكر، ج1، ص. 212.
[2] الطبرسي، *مجمع البيان*، دار إحياء التراث العربي، ج1، ص. 55.
[3] الشاطبي، *الموافقات في أصول الشريعة*، دار المعرفة، ج2، ص. 280.

International Journal for Scientific Research (IJSR)
المجلة الدولية للبحوث العلمية
IJSR
Vol. (4), No. (12) December 2025 الإصدار (4)، العدد (12)

المبحث الثاني: قراءة معاصرة للروايات التفسيرية في مستدرك الحاكم من خلال سورة الفاتحة

مدخل منهجي:

تشكل الروايات التفسيرية التي أوردها الإمام الحاكم في المستدرك مادة تراثية غنية، لكنها غير محصنة من النقد والتأمل. ومع ظهور مناهج تفسيرية حديثة، خاصة التفسير الموضوعي، والتفسير المقاصدي، والتفسير التداولي، أصبح من الضروري إعادة النظر في تلك الروايات في ضوء أدوات جديدة، تنطلق من مركزية النص القرآني، وتحاول فهمه في سياقه التاريخي والحضاري والمعرفي. [1]

الهدف من هذا المبحث ليس إسقاط المناهج الحديثة على الروايات بطريقة ميكانيكية، بل دراسة مدى قابليتها للتكامل أو التعارض مع تلك المناهج، مع التركيز على سورة الفاتحة، التي تمثل نصًا مركزيًا في البناء العقدي والروحي الإسلامي. [2] وستُحلل الروايات ضمن ثلاث مستويات:

1. البعد المقاصدي.
2. البعد التداولي والمعرفي.
3. البعد الاجتماعي والثقافي.

وسينصب التحليل على الأسئلة التالية: هل تؤدي هذه الروايات وظيفة تفسيرية تُسهم في ترسيخ مقاصد السورة؟ وهل يمكن إدراجها ضمن الفهم المعاصر للدين؟ أم أنها تحتاج إلى إعادة تأويل أو تجاوز؟

البعد المقاصدي في روايات الفاتحة:

عند فحص الروايات التفسيرية لسورة الفاتحة في المستدرك من خلال منهج المقاصد، يظهر أنها تركز بشكل كبير على غايتين أساسيتين: **تحقيق التوحيد** و**إبراز الهداية** .فالروايات التي تفسر "إياك نعبد وإياك نستعين" بالإخلاص أو التوكل، تُسهم في ترسيخ المقصد العقدي المركزي للإسلام، وهو توحيد الله في العبادة والسلوك.

كذلك روايات "الصراط المستقيم" التي تفسره بالإسلام أو بسنة النبي ﷺ، تدعم البعد المقاصدي في تحديد معالم الطريق الصحيح، وهي تتوافق مع وظيفة السورة كطلب للهداية. ومن منظور مقاصدي،

[1] نصر حامد أبو زيد، *مفهوم النص*، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005، ص. 93.
[2] الشاطبي، *الموافقات في أصول الشريعة*، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص. 270.

فإن هذه الروايات تؤدي دورًا مهمًا في توجيه المسلم نحو مركزية الالتزام بالإيمان والعمل.

لكن، في المقابل، هناك روايات تبتعد عن المقاصد، وتغلب عليها الصيغة التقديسية أو الفضائلية، مثل: "ما أنزل الله في التوراة ولا الإنجيل مثل أم القرآن"، أو "لكل شيء أساس وأساس القرآن الفاتحة"، وهذه لا تضيف جديدًا لمقاصد السورة، بقدر ما تؤدي وظيفة تعظيمية. [1]

روايات تخدم المقاصد بشكل مباشر:

- رواية: "إياك نعبد..." تفسيرها بالإخلاص ← تخدم مقصد التوحيد.
- رواية: "الصراط المستقيم هو الإسلام" ← تخدم مقصد الهداية.
- رواية: "الذين أنعمت عليهم..." تفسيرها بالنبيين والصالحين ← تخدم مقصد الاقتداء. [2]

تحليل: تُظهر هذه الروايات اتصالًا وثيقًا مع مقاصد السورة المركزية، لكن شرط هذا الاتصال هو صحة الرواية، وسلامة تفسيرها من الغلو أو التعميم. [3]

البعد التداولي والمعرفي للروايات:

تُعدّ سورة الفاتحة نصًا تواصليًا حيًا، يُعاد تلاوته يوميًا في الصلاة، وبالتالي فكل تفسير له تأثير عملي وتواصلي مباشر. ومن هذا المنطلق، يمكن تحليل الروايات التفسيرية من زاوية التداولية، أي كيف تؤثر في سلوك المتلقي، وتُعيد تشكيل نظرته إلى السورة.

رواية: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..." تمثل نموذجًا تواصليًا، لأنها تُحوّل الفاتحة من نص يُقرأ إلى حوار حي بين الله والعبد. فحين يقول العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، يقول الله: "حمدني عبدي". هذه الرواية تؤسس لفهم جديد لعلاقة الإنسان بالله في الصلاة، فهي ترفع من قيمة الخشوع، وتُضفي بعدًا شعوريًا وجدانيًا على التلاوة. [4]

كذلك رواية رُقية اللديغ، رغم أنها لا تحمل مضمونًا تفسيريًا مباشرًا، إلا أنها تؤثر في المتلقي من حيث تصوره للفاتحة كوسيلة للتداوي، مما يجعل الفهم الوظيفي للسورة يتجاوز الحصر في المعنى اللغوي إلى التأثير السلوكي.

[1] يوسف القرضاوي، *مدخل لدراسة مقاصد الشريعة*، دار الشروق، ط4، 2006، ص. 102
[2] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج1، ص. 52.
[3] يوسف القرضاوي، *مقاصد الشريعة بين الأصالة والمعاصرة*، مكتبة وهبة، القاهرة، ص. 111.
[4] نصر حامد أبو زيد، *مفهوم النص*، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005، ص. 93.

الروايات كأداة في تشكيل الخطاب الديني:

الروايات التفسيرية، في هذا السياق، لم تكن مجرد نقل للمعنى، بل كانت تُشكّل الخطاب الديني عبر:

1. بناء صورة للسورة كمصدر للهداية والشفاء.
2. ترسيخ مركزية الفاتحة في العبادة والسلوك.
3. دعم العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص.

ومن ثم، فإن هذه الروايات تُسهم في تشكيل وعي ديني عملي، لا نظري فقط، خاصة عندما ترتبط بسلوكيات يومية كالصلاة والدعاء والتوكل. [1]

البعد الاجتماعي والثقافي في التلقي:

الروايات التفسيرية في المستدرك لا تعمل فقط في سياق ديني داخلي، بل تتفاعل مع الثقافة الإسلامية الشعبية، إذ أن بعضًا منها، مثل رواية الرقية، أصبحت جزءًا من الذاكرة الجماعية للمسلمين، واستُخدمت في الممارسات اليومية. وهذا يطرح تساؤلات حول كيف تتحول الرواية من مصدر معرفي إلى "نص ثقافي"، يؤثر في الممارسات الاجتماعية والدينية. [2]

مثلًا، استخدام الفاتحة في العلاج الشعبي، وتفسيرها كملاذ للحماية، لا يعود فقط إلى مدلول السورة، بل أيضًا إلى رسوخ هذه الروايات في الثقافة الشفهية.

هل الروايات قابلة للتأويل المعاصر؟

نعم، بشرط توفر:

1. **نقد داخلي للرواية:** من حيث صحتها، وتوافقها مع المعنى القرآني.
2. **إعادة السياقنة:** فهم الرواية ضمن سياقها التاريخي، وليس إسقاطها على واقع مغاير.
3. **الربط المقاصدي:** بحيث تُفهم الرواية بوصفها خادمة لمقاصد القرآن، لا نقيضًا لها. [3]

[1] محمد عابد الجابري، *التراث والحداثة*، مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 134.
[2] يوسف القرضاوي، *مقاصد الشريعة بين الأصالة والمعاصرة*، مكتبة وهبة، القاهرة، ص. 111.
[3] طه عبد الرحمن، *الحق العربي في الاختلاف الفلسفي*، المركز الثقافي العربي، ص. 241.

المبحث الثالث: التكامل بين الروايات التفسيرية والمفاهيم المعرفية المعاصرة في فهم سورة الفاتحة

تمهيد تأصيلي:

إنّ تفسير القرآن الكريم يُمثّل عبر تاريخه الطويل ساحة تداخل بين النص الديني والواقع المعرفي للمفسر. فكل تفسير، مهما بدا ملتزمًا بالمأثور، ينطوي على تأويل قائم على خلفيات ثقافية وعلمية. ومن هنا، تُطرح اليوم الحاجة إلى استثمار الروايات التفسيرية القديمة -مثل تلك الواردة في مستدرك الحاكم- في ضوء المفاهيم المعرفية المعاصرة، دون الوقوع في الإلغاء أو التقديس المطلق.

في هذا المبحث، نحاول بناء تصور منهجي للتكامل بين الروايات التفسيرية لسورة الفاتحة، كما وردت في مستدرك الحاكم، والمفاهيم الحديثة في فهم النصوص، مثل: البنية المقصدية، نظرية القراءة، العقل التداولي، المنهج التكاملي، والمعنى السياقي. [1]

فبدلًا من رفض الروايات بدعوى التقليد، أو قبولها بدعوى التقديس، يتم تحليلها بوصفها أدوات وظيفية يمكن توجيهها لخدمة الفهم القرآني الراهن. والمجال المختار لهذا التطبيق هو سورة الفاتحة، نظرًا لطابعها التأسيسي في بنية الخطاب الإسلامي. [2]

منطلقات التأصيل:

ينطلق التكامل من فرضية أن الروايات ليست تفسيرًا نهائيًا، بل "مداخل" للفهم. فهي تتضمن إشارات، وتُعبّر عن قراءات مبكرة للقرآن، لكنها لا تغلق باب الاجتهاد. في ذات الوقت، فإن المفاهيم المعاصرة لا تلغي قيمة المأثور، بل تطالب بقراءته من جديد ضمن سياقات عقلية معرفية أكثر اتساعًا. [3]

أولًا: تكامل البنية المقصدية مع الروايات التفسيرية:

من أبرز المفاهيم المعاصرة في علم التفسير "البنية المقصدية"، وهي التي تسعى إلى فهم السورة انطلاقًا من غاياتها الكبرى، لا من أجزائها المتفرقة. [4] وفي سورة الفاتحة، يمكن تتبع ثلاثة مقاصد كبرى:

1. مقصد التوحيد.
2. مقصد الهداية.

[1] نصر حامد أبو زيد، *الاتجاه العقلي في التفسير*، دار التنوير، بيروت، 2008، ص. 76.
[2] عبد الله العروي، *مفهوم العقل*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010، ص. 45.
[3] الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج1، ص. 54.
[4] يوسف القرضاوي، *مقاصد الشريعة بين الأصالة والمعاصرة*، مكتبة وهبة، القاهرة، ص. 111.

3. مقصد التربية الروحية.

الروايات التفسيرية في مستدرك الحاكم تُسهم في دعم هذه المقاصد، وإن بشكل غير مباشر. فعلى سبيل المثال، الرواية التي تفسّر "إياك نعبد وإياك نستعين" بالإخلاص، تعزّز مقصد التوحيد. والرواية التي تقول "الصراط المستقيم هو الإسلام" تؤكد مقصد الهداية. [1]

لكن هذا التكامل لا يعني قبول الروايات دون نقد، بل قراءتها في ضوء بنية المقاصد، بحيث تُستثمر ما دامت خادمة للمعنى الكلي للسورة. أما الروايات التي تبتعد عن هذا الهدف، أو تشتت المعنى، فينبغي مراجعتها.

ثانيًا: العلاقة مع المفهوم التداولي:

النظرية التداولية في اللسانيات الحديثة تقوم على أن المعنى لا يُفهم من بنية الجملة فقط، بل من **سياق الاستعمال**، أي من الموقف الذي يُقال فيه الكلام. وعليه، فإن الروايات التي تنقل مواقف نبوية في شرح السورة، مثل "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي..." تُضفي على التفسير بعدًا تداوليًا، حيث لا تكون الفاتحة مجرد "نص" بل "حوار" بين العبد وربه.

هذه الرواية لا تشرح المعنى اللغوي فحسب، بل تُغيّر طريقة التلقي، وتجعل السورة حدثًا تعبّديًا حيًّا، يُعيد تشكيل العلاقة بين المتلقي والخالق. وهذا البعد التداولي موجود ضمنًا في كثير من روايات الحاكم، لكنه لم يُبرز منهجيًا. [2]

ثالثًا: التفسير في ضوء نظرية القراءة:

تنظر نظرية القراءة الحديثة إلى النصوص بوصفها منفتحة، لا تُعطي معناها دفعة واحدة، بل تفتح المجال أمام القرّاء المختلفين لفهمها بطرق متعدّدة. بناءً على هذا، يمكن النظر إلى الروايات التفسيرية على أنها "قراءات أولى"، عبّر فيها الصحابة والتابعون عن فهمهم الخاص للنص، في ضوء ثقافتهم وسياقهم الزمني.

على هذا الأساس، فإن الرواية: "المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى"، تُفهم كتفسير ضمن سياق مواجهة عقدية تاريخية، لكنها لا تمنع من فهم الآية ضمن إطار أوسع في العصر الحديث، بحيث تشمل كل من انحرف عن طريق الهداية، بصرف النظر عن دينه أو قوميته. [3]

[1] أحمد بلقاضي، *القرآن والتداولية*، دار السلام، القاهرة، ط1، 2018، ص. 92
[2] سعيد بنكراد، *سيميائيات التواصل*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2012، ص. 67.
[3] حسن حنفي، *من العقيدة إلى الثورة*، ج2، ص. 201.

وبذلك، تُستعاد الرواية لا على أنها "حكم نهائي"، بل كقراءة مشروطة بتاريخها، ومنفتحة على تأويل أوسع لا يتعارض مع المعنى، بل يُغنيه. ومن هنا فإن التفسير الحديث لا يرفض الروايات، بل يُعيد وضعها في سياق تعدد القراءات.

رابعًا: الاستفادة من المنهج التكاملي:

المنهج التكاملي يدعو إلى الجمع بين المناهج، وعدم الاقتصار على أحدها، بل الاستفادة من قوتها مجتمعة. وهو ما يصلح تمامًا في التعامل مع روايات الحاكم؛ إذ يمكن الجمع بين:

- **الرؤية المقاصدية** لتوجيه الروايات نحو غايات السورة.
- **الرؤية التداولية** لفهم الأثر العملي للروايات. [1]
- **الرؤية التاريخية** لفهم ظروف نشوء الرواية.
- **الرؤية الاجتماعية** لتحليل أثرها في المتخيل الشعبي والديني.

آفاق التكامل المعرفي:

إنّ روايات التفسير في مستدرك الحاكم، رغم أنها لم تُنظّم في مشروع تفسيري متكامل، تُتيح للباحث فرصًا عديدة لإعادة بناء فهم متوازن لسورة الفاتحة. هذا التوازن لا يتحقق إلا من خلال دمج الرواية بالمقصد، والسياق، والوظيفة، والمقارنة، وهي أدوات المنهج المعرفي الحديث.

فالرواية تصبح في ضوء هذا المنهج **نقطة انطلاق**، لا نقطة انتهاء، تُفتح على التأويل، وتُسهم في إغناء التفسير، لكنها لا تُغلقه. كما أن التفاعل معها لا ينبغي أن يكون سجالًا بين القبول والرفض، بل عملية تأويل عميقة تُعطيها مكانتها دون أن تُحيلها إلى مرجعية قاطعة. [2]

التحديات والتوصيات

1. **التحدي الأول:** التسليم غير النقدي للروايات، واستعمالها خارج سياقها.
2. **التحدي الثاني:** رفض الروايات جملة واحدة بدعوى الحداثة، مما يقطع مع التراث.
3. **التوصية الأولى:** اعتماد نقد الرواية من جهة السند والمقصد معًا.
4. **التوصية الثانية:** توجيه الروايات ضمن مقاصد النص القرآني، لا خارجها.

[1] محمد باقر الصدر، *المدرسة القرآنية*، مركز الأبحاث العقائدية، النجف، 2003، ص. 90.
[2] محمد عمارة، *إحياء علوم التفسير*، دار الشروق، 2012، ص. 71.

5. التوصية الثالثة: بناء تفسير جديد للفاتحة يُدمج بين الرواية والمقصد، وبين النص والواقع.

الخاتمة والتوصيات والمقترحات

بعد رحلة بحثية امتدت عبر الفصول الثلاثة، توزعت على المباحث التي تناولت الجوانب التعريفية والتحليلية والمقارنة للروايات التفسيرية في مستدرك الحاكم، وتحديدًا في سياق سورة الفاتحة، يمكننا القول إن هذا العمل يمثّل محاولة علمية لقراءة نص تراثي بروح منهجية تراعي ضوابط العلم وتطلعات العصر.

لقد بدأ البحث بعرض الخلفية العامة عن الإمام الحاكم ومنهجه في الحديث، ثم انتقل إلى دراسة الروايات التفسيرية المتعلقة بسورة الفاتحة كما أوردها في كتابه "المستدرك"، ثم قارنها بما ورد في تفاسير أخرى، وصولًا إلى تحليلها في ضوء المناهج المعاصرة، وبحث إمكانات التكامل بين هذه الروايات والمفاهيم المعرفية الحديثة.

أهم النتائج

1. **غزارة المادة التفسيرية في المستدرك:** رغم أن كتاب الحاكم لم يكن تفسيرًا مباشرًا، إلا أن مادته التفسيرية موزعة داخله، وتُظهر حسًا دينيًا وتربويًا.
2. **تنوّع روايات الفاتحة:** شملت جوانب عقدية، وعبادية، ووعظية، ولغوية، وروحية، مما يدل على تنوّع أدوات التفسير في مرحلة الحاكم.
3. **تقارب المنهج مع مدارس التفسير بالمأثور:** الروايات التي جمعها الحاكم تتقاطع مع روايات الطبري وابن كثير، مع تباين في الأسناد أو التصحيح.
4. **ضعف بعض الروايات سندًا أو دلالة:** وهو ما يستوجب التعامل معها بمنهج نقدي، لا تسليمي.
5. **إمكانية تفعيل الروايات في الخطاب المعاصر:** من خلال ربطها بالمقاصد، أو الاستفادة منها في الجانب التداولي أو التربوي.

تفسير الفاتحة عبر الروايات:

من خلال تحليل الروايات التفسيرية، يمكن القول إن سورة الفاتحة تم تفسيرها على محورين:

- **محور وظيفي:** أي بوصفها أساسًا للعبادة والصلاة والشفاء.
- **محور معنوي:** أي من حيث دلالتها على التوحيد، والهداية، والدعاء.

وقد تم توظيف الروايات لدعم هذين المحورين، دون إفراط في التفسير الكلامي أو الفقهي، وهو ما يجعلها نموذجًا صالحًا للدراسة التفسيرية المعاصرة.

التحليل العام لموقع الحاكم في الخريطة التفسيرية:

يمثل الحاكم النيسابوري محطة محورية في تطور علم الحديث، لكنه لم يُصنَّف ضمن "علماء التفسير" بمفهومه التقليدي. إلا أن وجود عدد معتبر من الروايات التفسيرية في مستدركه يدل على وعي تفسيري ضمني، يُقدِّم المادة الحديثية في سياق يخدم الفهم القرآني، حتى وإن لم يُرفقها بتعليق أو تحليل مطوّل.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الحاكم عاش في مرحلة ما بعد عصر الطبري وابن مجاهد، فإن عمله يُعتبر جسرًا بين الرواية الحديثية والتفسير بالمأثور. لكنّ هذا الجسر، رغم فائدته، لا يخلو من الثغرات، أهمها:

1. عدم التمييز بين المرفوع والموقوف في بعض المواضع.
2. التساهل في تصحيح بعض الروايات التفسيرية.
3. إدراج الروايات دون تحليل لغوي أو سياقي كافٍ.

القيمة التحليلية للروايات التفسيرية:

تتميز الروايات التفسيرية الواردة في المستدرك بأنها تعكس بيئة فهم القرآن في القرون الثلاثة الأولى. فهي لا تشرح فقط المعنى، بل تنقل لنا تصورات عقدية وروحية وسلوكية، مما يجعلها مادة غنيّة لفهم الذهنية الإسلامية المبكرة تجاه النص.

مثال: رواية "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي" ليست مجرد تفسير، بل هي تجسيد روحي لمفهوم التلاوة والخشوع، ويمكن عبرها تأسيس نظرية في التربية القرآنية.

وفي ضوء المفاهيم المعرفية الحديثة، فإن هذه الروايات تصلح لتأسيس أنموذج تفسيري متعدد الأبعاد، يراعي مقاصد الشريعة، ووظيفة النص، وسياقه التاريخي والاجتماعي.

توصيات منهجية للباحثين في التفسير الروائي

1. **تحقيق الروايات التفسيرية تحقيقًا علميًا:** ينبغي لكل باحث أن يتحقق من صحة الروايات من خلال دراسة أسانيدها، وعدم الاكتفاء بثقة المؤلف بها.
2. **عدم الفصل بين الرواية والمقصد:** أي عدم الوقوف عند ظاهر الرواية دون تأمل وظيفتها التفسيرية والوعظية.

3. **الدمج بين النص والسياق:** التفسير لا يتم فقط بالنقل، بل يجب أن يُدرج النص القرآني في سياقه الزمني والاجتماعي والمعرفي.
4. **تجنّب التسليم المطلق:** سواء للروايات التفسيرية أو للمفاهيم الحداثية، بل يجب بناء قراءة نقدية ووسطية.
5. **إعادة قراءة كتب الحديث الكبرى بوصفها مصادر تفسيرية:** وليس فقط الحديث عن الحلال والحرام أو العقائد.

توصيات للمناهج التربوية والوعظية

1. **استخدام الروايات التي تعزّز البعد الروحي:** مثل رواية "قسمت الصلاة..." التي تصلح كمادة تربوية في تعليم الخشوع.
2. **إدراج الروايات في تعليم المقاصد القرآنية:** إذ أن بعضها يدعم معاني مثل التوحيد، والإخلاص، والهداية.
3. **تمييز الروايات الصحيحة من الضعيفة في المحتوى الوعظي:** كي لا تكون الدعوة والوعظ قائمة على روايات مشكوك فيها.

قائمة المصادر

أولًا: كتب التفسير:

1. الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، تونس، ط، 984م.
2. الزركشي، بدر الدين، *البرهان في علوم القرآن*، دار المعرفة، بيروت، د. ط.
3. ابن عطية، عبد الحق، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، دار ابن حزم، بيروت، 00م.
4. أبو زهرة، محمد، *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي، القاهرة، 000م.
5. الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 000م.
6. السيوطي، جلال الدين، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، دار الفكر، بيروت، د. ط.

ثانيًا: كتب الحديث:

1. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 990م.

2. الذهبي، شمس الدين، *تلخيص المستدرك*، تحقيق: مقبل الوادعي، مكتبة دار البيان، القاهرة، 990م.
3. البيهقي، أحمد بن الحسين، *السنن الكبرى*، دار المعرفة، بيروت، د. ط.
4. مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
5. ابن الملقن، *مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك الحاكم*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 990م.

ثالثًا: كتب ومراجع منهجية ومعاصرة:

1. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، *الموافقات في أصول الشريعة*، دار المعرفة، بيروت، د.ط.
2. القرضاوي، يوسف، *مدخل لدراسة مقاصد الشريعة*، دار الشروق، القاهرة، ط4، 006م.
3. حسن حنفي، *من العقيدة إلى الثورة*، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط، 990م.
4. نصر حامد أبو زيد، *مفهوم النص*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 005م.
5. محمد عابد الجابري، *التراث والحداثة*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط، 99م.
6. أمينة ودود، *القرآن والمرأة: قراءة نقدية*، ترجمة: ناصر الأنصاري، دار الساقي، بيروت، 006م.
7. بول ريكور، *نظرية التأويل*، ترجمة: سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 005م.

رابعًا: دراسات علمية متخصصة:

1. محمد العروسي، *أثر الرواية في التفسير*، دار المنهاج، جدة، 008م.
2. سائد بكداش، *مناهج المفسرين المعاصرين*، دار ابن كثير، بيروت، 05م.
3. أحمد بلقاضي، *القرآن والتداولية*، دار السلام، القاهرة، ط، 08م.